

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

الأب متى المسكين

كتاب: يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولى: ٢٠٠٢

الطبعة الثانية: ٢٠١٢

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون

ص.ب ٢٧٨٠ - القاهرة

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٨٦١ / ٢٠٠٢

رقم الإيداع الدولي: ٨-١٣٩-٢٤٠-٩٧٧ ISBN

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

يوم الخمسين وميلاد الكنيسة

الروح القدس بين العهد القديم والعهد الجديد:

يوم الخمسين وحلول الروح القدس على التلاميذ مجتمعين، كان هو يوم تدشين الكنيسة وبدء حياتها العملية لافتتاح العهد الجديد، لأن الروح القدس الذي كان يعمل في العهد القديم كان يعمل بمواهبه التنبؤية والإعلان عن قوة الله في عمل المعجزات. أما الروح القدس الذي حلّ على التلاميذ فكان حلولاً أقنومياً مائلاً، ملاً التلاميذ وملاً المكان، وكان بهيئة ألسنة نار استقرت على التلاميذ تعبيراً عن حضرة الله، كالنار المشتعلة في العليقة. وقد عبّر عنه القديس أنطونيوس بأنه "الروح الناري".

مقارنة بين حلول الروح القدس على العذراء وحلوله على التلاميذ:

وإذا قارنّا حلول الروح القدس على العذراء القديسة مريم وقوة العليّ التي ظللتها لتلد الكلمة ابن الله وحلول الروح القدس على التلاميذ مع قبول قوة من الأعالي حسب وعد المسيح: «لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم» (أع ١: ٨)، نستنتج في الحال أنه حدث ميلاد الكنيسة، الخليقة الجديدة للإنسان، التي عبّر عنها لاهوتياً أنها جسد المسيح وأن المسيح نفسه هو رأسها.

والتناسق شديد الطباق. فغياب المسيح أنشأ ظهور الكنيسة، وهو مضمون ما قاله المسيح للتلاميذ قبل الصلب: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم مُّعزِّيًّا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى إني آتي إليكم.» (يو ١٤: ١٦-٢٠)

بحلول الروح القدس يوم الخمسين استلم المسيح رئاسة الكنيسة:

فبحلول الروح القدس يوم الخمسين تم وعد الآب وظهور المعزّي الآخر، واستلم المسيح رئاسة الكنيسة، وبدأ جسد المسيح يستعلن الخليقة الجديدة فيه. وابتدأت الإفخارستيا من أول يوم: «وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مُسَبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب. وكان الرب كل يوم يضمُّ إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أع ٢: ٤٦-٤٧). وهذا يعلن كيف كانت تُبنى الكنيسة.

وتأسست الخليقة الجديدة على الأرض:

وهكذا كانت البداية، بداية الخليقة الجديدة المحسوبة أنها خليقة سماوية تعيش على الأرض ورأسها في السماء، لأن رأسها المسيح وقد أسسها المسيح بجسده القائم من بين الأموات. وهكذا عُرفت الكنيسة كبيت الله بتعبير القديس بولس الرسول: «فليستم، إذن، بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩). وبحسب

تعبير القديس بطرس الرسول: «وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١ بط ٢: ٩)

علاقة الكنيسة بالخلقة السماوية:

أما علاقة الكنيسة بالخلقة السماوية فهي على مستوى علاقة المسيح كما عبّر عنها بولس الرسول في سفر العبرانيين: «متى أُدخل البكر إلى العالم، يقول، فلتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١: ٦). أما عن الكنيسة فيقول بولس الرسول إلى أهل أفسس: «لكي يُعرّف الآن عند الرؤساء والسلطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ١٠ و١١). فالكنيسة منوطٌ بها استعلان سر المسيح الذي فيها لكل الخلائق السماوية!

ومعنى هذا أن الكنيسة كخلقة جديدة سماوية دخلت في عداد الخلائق السماوية لتستعلن لها سر المسيح ابن الله فيها.

ويضيف بولس الرسول، من جهة عمل الكنيسة كخلقة جديدة سماوية، أنه سيكون لها دور هام في تسييح وتمجيد الله كخورس أمامي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السموات، في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمُدح مجد نعمته التي أجزلها لنا

بكل حكمة وفطنة، إذ عرّفنا بسرّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها
في نفسه.» (أف ١: ٣-٩)

معالم علاقة الكنيسة بالمسيح رأسها:

فلكون الكنيسة تمثل جسد المسيح والمسيح هو رأسها، صارت
العلاقة بين المسيح والكنيسة علاقة فائقة القدر والسموّ والسريّة جداً.

١. فأول وأهم ما سلّمه المسيح للكنيسة أنه سلّمها كل مكاسبه
الإلهية الفائقة جداً. وهذا يكشفه بولس الرسول بمنتهى الوضوح
والأهمية. ولكن القديس بولس يقدم لهذا السرّ الرهيب بأنه يلزمنا
روح حكمة وإعلان وأن تستنير عيون أذهاننا حتى ندرك هذا السرّ
الرهيب. اسمع يا أخي هذا الكلام بانتباه:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم
إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في
معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما
هو غنى مجد ميراثه في القديسين (الكنيسة)، وما هي عظمة
قدرته الفائقة نحونا (نحو الكنيسة) نحن المؤمنين حسب عمل
شدة قوته الذي عمله في المسيح (من أجلنا، أي من أجل
الكنيسة)، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات
فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمّى ليس
في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء
تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء، للكنيسة التي هي

جسده: ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٦-٢٣)

٢. أمام هذا السر الخطير، لابد أن يكون القارئ أو السامع على أعلى ما يمكن من الفهم والحكمة والإعلان، ليدرك سمو هذا العمل السري الخطير أن الله أقام المسيح من بين الأموات وأجلسه عن يمينه ورفعته فوق جميع الخلائق السماوية العالية القدر جميعاً، وأخضع كل شيء له، لكي يسلمه للكنيسة. فالكنيسة بالمسيح الذي فيها هي أعلى من كل الخلائق السماوية، والكل مُخضع لها في السماء.

وهذا الأمر الخطير عبّر عنه بولس الرسول في موضع آخر بأننا أولاد الله. فإن كنا أبناء فنحن ورثة مع المسيح لله! (رو ٨: ١٧)

٣. ومن حيث المعرفة الإلهية السرية المفتوحة أمامنا يقول بولس الرسول بمقدمة طويلة يصل في نهايتها إلى السرّ الرهيب المفتوح أمامنا:

+ «بسبب هذا أحنى رُكبتيّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تُسمّى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض لكي يعطيكم حسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه (الروح القدس) في الإنسان الباطن "الإنسان الجديد أي الخليقة الجديدة" ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة، لتستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين (الكنيسة) ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله، والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا،

له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر
الدهور. آمين.» (أف ٣: ١٤-٢١)

٤. لقد تدرّج القديس بولس في هذه الآيات بدءاً من عمل الروح
في الإنسان الجديد ليحل المسيح فيه بالإيمان في القلب، على أن
تكونوا متأسسين على المحبة، حتى تستطيعوا بالروح والإنسان الجديد
والمحبة أن تدركوا محبة المسيح من نخونا ومن نحو الآب، ويعترف أنها
فائقة المعرفة، إذا بلغتوها تكونون قد بلغتكم معرفة ملء الآب! هذا
أرهب الأسرار التي تعرّض لها القديس بولس، ولكن لو أخذناها
تدريجياً يسهل إدراكها، لأنه يقول أيضاً إن ملء اللاهوت حلّ في
المسيح جسدياً: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠). فإن كان لنا ملء
المسيح لاهوتياً، يكون لنا في الحال ملء اللاهوت الذي للآب، لأن
الآب والمسيح واحد في كل شيء، وملء الواحد هو ملء الآخر،
ولذلك قال: «وإليه نأتي (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً» (يو
١٤: ٢٣). وفي الحقيقة، الآب أعطى ملئه للمسيح لكي يعطيه لنا،
والمسيح نفسه اعترف بذلك: «المجد الذي أعطيتني أنا أعطيتهم ليكونوا
واحداً كما أننا نحن (الآب والابن) واحد.» (يو ١٧: ٢٢)

٥. فإذا ما بلغ الروح القدس فينا إلى ملء معرفة المسيح فنتلىء في
الحال بملء معرفة الآب: «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا
فيلبس؟ الذي رأيته فقد رأي الآب، فكيف تقول أنت أننا الآب؟ ...
صدقوني إني في الآب والآب في.» (يو ١٤: ٩ و١١)

ولكننا ندرك بين السطور أن الروح القدس هو الوسيط بين الآب

والمسيح ليجعل كل ما للآب للابن في الروح، وأن الروح القدس هو الوسيط الذي وقف بيننا وبين المسيح ليعطينا كل ما للمسيح وكل ما للآب.

٦. وفي موضع آخر يطبّق كل ما للآب على كل ما للابن. وبما أن المسيح ممجّد في الآب، وأن «كل ما هو لي هو لك وما هو لك فهو لي» (صلاة المسيح للآب يو ١٧: ١٠)، وبما أن المسيح عاد يقول: «وأنا ممجّد فيهم»؛ أصبح بالضرورة الآب والابن والكنيسة ممجّدين معاً: «كل ما هو لي، هو لك؛ وما هو لك فهو لي؛ وأنا ممجّد فيهم.» (يو ١٧: ١٠)

فالعلاقة التي ربط بها الكنيسة بنفسه عاد وربطها في نفسه وفي الآب.

لأن بالنهاية يكشف القديس يوحنا الرسول أن شركة الكنيسة الرسولية الأولى كانت مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ثم عاد يوحنا الرسول يدعو الكنيسة أن يكون لها نفس الشركة التي للرسول مع الآب والابن ليكمل فرحهم (١ يو ١: ٤ و٣).

٧. والعلاقة التي تربط المسيح بالكنيسة خطيرة جداً، إذ بدأت بأن يصير كل ملء المسيح هو ملء الكنيسة: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤون فيه، الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان. وبه أيضاً خُتِنتم ختانة غير مصنوعة بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح.» (كو ٢: ٩-١١)

٨. فالمسيح أخذ من الآب صورة الإنسان الجديد المولود من فوق وهو فوق كل رياسة وسلطان ليمنحها لنا أو على وجه الأصح لنكون نحن هذا الإنسان الجديد، لأن المسيح حلّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً ليملاًنا بنفسه: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠). وهكذا انفكّت كل العلاقات التي كانت تربطنا بآدم وبالتراب لنأخذ علاقات إلهية سماوية في المسيح ونكون خليقة جديدة فيه. فالكنيسة أصبحت في المسيح نموذج الخليقة الجديدة، التي أخذت سلطان الملء والشركة في المسيح والآب.

٩. أما العلاقة السرية التي تربط الكنيسة فهي على أقدم مستوى يصعب جداً شرحها، ولكن يمكن فقط تمثيلها مع التحفظ من أي انحراف جسدي. فالكنيسة للمسيح هي على مستوى عروس لعريس، وقد جاءت في الأناجيل مغطاة. فمثلاً في إنجيل متى ٩: ١٤ و ١٥: «حينئذ أتى تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيين كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون، فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم. ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون». وبالمكشوف كأن المسيح يقول: «أنا عريس الكنيسة». وقد أتت في سفر الرؤيا بحالة مُستعلنة: «هللويا، فقد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرح ونتهلل ونعطيه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وامراته هيأت نفسها، وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً لأن البزّ هو تبررات القديسين.» (رؤ ١٩: ٦-٨)

هنا وصف الكنيسة قد اكتمل. والبرزُّ هنا هو البوص أو البوصص الذي كان يُصنع منه أثواب الكهنة في مصر وإسرائيل، وهو الكتان الأبيض جداً رمز النقاوة، وقد عبّر عنه هنا بـ«تبرُّرات القديسين» أي بأعمالهم في خدمة الرب الإله؛ وأما عشاء عرس الخروف فيبدو كاستعلان الكنيسة في مجد عريسها وحضور المسيح عريسها مع أرواح القديسين والملائكة القديسين.

١٠. أما وضع الكنيسة بالنسبة للمسيح وهي على الأرض، «فالمسيح رأس الكنيسة»، بمعنى مدبرها الإلهي، وهو «مخلص الجسد» (أف ٥: ٢٣)، أي أنه افتدى الجسد من لعنة الموت وعتقه من عبودية الشيطان والعالم، بالإضافة إلى الخلاص الأخير، وهو استعلان الإنسان الجديد وقد أخذ «صورة خالقه» (كو ٣: ١٠) في الجسد، وأصبح «على صورة جسد مجده». (في ٣: ٢١)

١١. وقد تُسبت الكنيسة للمسيح كما تُنسب المرأة لرجلها من حيث أنهما بحسب السرّ المقدس «جسد واحد» (أف ٥: ٣١): «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة (المعمودية) لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غُضن (تشوهات الشيخوخة) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب». (أف ٥: ٢٥-٢٧)

والقديس بولس يكشف هنا السرّ الذي يربط المسيح بالكنيسة جسده: «كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم»

(أف ٥: ٢٨)، فأوضح سرَّ أن الكنيسة هي بالحقيقة الجسد الخاص بالمسيح الذي يحبه باعتبار أنه صاحبه؛ وكذلك: «مَنْ يحب امرأته يحب نفسه». هنا كشف آخر استعلاني بالدرجة الأولى أنها محبوبة كما يحب المسيح نفسه المرتبطة بالجسد.

١٢. إذن، المفهوم الجديد علينا هو أن المسيح أعطى جسده ونفسه للكنيسة، فأصبحت الكنيسة كأنها هي الجسد السري للمسيح نفسه، والجسد يستحيل أن يحيا بدون النفس – طبعاً هذا كله خارج معنى الأقيوم. «فإنه لم ييغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة». وهذا يعني أن المسيح هو الذي يطعم الكنيسة بطعام الحق السماوي – المن المخفى – ويعتني بنموها لنفسه: «لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٢٨-٣٠). هذا أوضح استعلان عن معنى أن الكنيسة هي جسد المسيح، فهي هي الجسد المقام من الموت والذي صعد إلى السموات: «وفيما هم يتكلمون وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال: سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ انظروا يديَّ ورجليَّ. إني أنا هو، جسُّوني وانظروا فإن الزوح ليس له لحم وعظام كما تَرَوْنَ لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.» (لو ٢٤: ٣٦-٤٠)

١٣. هذا هو جسد المسيح الذي قام به من بين الأموات وجروحه عليه، وهذا هو نفسه جسده الذي جعله الكنيسة التي تعيش بقيامته، وهذا هو الذي يقول عنه القديس بولس في رسالته

إلى أهل أفسس (والتي نتأمل في آياتها): «أنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠). لأننا وُلدنا جديداً خليقة جديدة من جسده المُقام، كما يقول القديس بطرس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ٣: ١). فقيامة يسوع المسيح من بين الأموات بجسده حياً وعليه جروحه، هي بالنسبة لنا رأس الخليقة الجديدة التي منها وُلدنا، فنحن مولودون من جسد قيامة الرب يسوع المسيح كخليقة جديدة حية بحياة المسيح، غالبية الموت ووارثة الحياة الأبدية.

فالكنيسة هي جسد المسيح الحي المُقام من الموت ونحن أعضاء هذا الجسد، وكلنا أي جميع المؤمنين من الأول حتى النهاية نكوّن جسد المسيح الكامل، كما يقول بولس الرسول:

١ - «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣)

٢ - «بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد (=الكنيسة)، مركباً معاً ومقتزناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنائه في المحبة.» (أف ٤: ١٥-١٦)

وحدة الإيمان وكمال معرفة المسيح:

في الآية الأولى بناء جسد المسيح قائم على وحدة الإيمان وكمال

معرفة المسيح. طبعاً ذلك في جدة الحياة أو في الإنسان الجديد الذي يتجدد كل يوم ويمتلىء معرفة ويفيض إيماناً، أي في كنيسة تحيا حقاً في المسيح وتجتمع على التوالي في رباط واحد لاهتمام واحد بالروح، حيث الإيمان يزيكه أعمال روحية شاهدة، والمعرفة يستزيدها الإعلان والاستعلان للموهوبين.

الحبة الصادقة القائمة على البذل والعطاء:

في الآية الثانية: عنصر البنيان هو الحبة الصادقة، أي التي ليس لها أهداف إلا البذل والعطاء. الأب يبذل من أجل ابنه، والابن يبذل لأبيه، والقدوة حية بالأب والابن والأصدقاء فيما بينهم برباط محبة شديدة تشدد أزر خدمتهم بعضهم لبعض وللآخرين بسخاء. والمثل والقدوة والقوة هو المسيح رأس الكنيسة ورأس كل واحد منا، حيث يُشتمُّ فيهم رائحة صليبه. هذه الكنيسة تُلحق وتترك في شركة الرسل. والتركيب والاقتران والمؤازرة والمفصل المسئول عن النمو هو الروح القدس العامل بين المحبين.

أبواب الجحيم لن تقوى عليها:

«وعلى هذه الصخرة أبني كنيسةي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (متى ١٦: ١٨)

والصخرة كانت إيمان القديس بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي.» (مت ١٦: ١٧)

وعاشت الكنيسة إلى الآن ألفي سنة، وانفتحت عليها أبواب

الجحيم وليس باباً واحداً، لأن من داخلها عمل الشيطان أكثر من خارجها، بالنار والسيف والوحوش وبالسجن والجوع والتعذيب. ولا يوجد في اللغة ما يمكن أن يعبر عن كثرة الأهوال التي عانتها الكنيسة. ولكن الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح هو رأسها، فبقيت الكنيسة وفني كل من عاداها.

+ «هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، تطويها فتطوى.
ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب ١: ١١ و ١٢)

+ «وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء
للكنيسة، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل.»
(أف ١: ٢٢ و ٢٣)

يعني أن الكنيسة في كل مؤمن محب للمسيح وللكنيسة، والكنيسة تحوي كل المؤمنين فيها.

الأب متى المسكين

يوم الخميس ٢٠٠٢ م

يُطلب من:
دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org